بسم الله الرحمن الرحيم

فضل البكاء من خشية الله

----**********----

لفضيلة الشيخ الوالد عبد الله بن عثمان الذماري حفظه الله ورعاه

- - - - - - -

كلمة الشيخ الفاضل محمد بن عبد الله الإمام حفظه الله تعالى

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، تعلمون بارك الله فيكم أنكم على موعد في هذه الليلة نسأل الله خيرها ونعوذ به من شرها بمحاضرة في هذا المسجد لأخينا المبارك الداعية الشيخ عبد الله بن عثمان بارك الله فيه وفي علمه وفي دعوته فكل يحرص على الاستفادة من النصائح والمواعظ فإن هذه النصائح هي دواء وشفاء وغذاء وهي قوة وبلاغ إلى حين وأهل المساجد وروادها هم أهل الله وأولياء الله عز وجل وما صاروا إلى هذا المستوى الرفيع إلا بسبب قبولهم للنصائح وحضورهم مجالس الذكر وتلقيهم لتوجيهات أهل العلم والخروج والانطلاق حسب ما ينصحون ويعلمون ويوجهون فكم في هذا من خير لنا جميعا فإذا جئتم بما تيسر من الأذكار لما في السنة فيتقدم من أحب أن يتقدم وبعد ذلك يأتي دور المحاضرة .

المحاضرة

* * * * * * * * * * * *

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعين ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

﴿يا أيّها الّذِين آمنوا اتّقوا اللّه حقّ تقاتِهِ ولا تموتنّ إلّا وأنْتمْ مسْلِمون﴾ [آل عمران:102]

﴿ يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذِي خلقكمْ مِنْ نفْسٍ واحِدةٍ وخلق مِنْها زوْجها وبثّ مِنْهما رِجالًا كثِيرًا ونِساءً ۚ واتّقوا اللّه الّذِي تساءلون بِهِ والْأرْحام ۚ إِنّ اللّه كان علَيْكمْ رقِيبًا﴾ [النساء:1]

﴿يا أيّها الّذِين آمنوا اتّقوا اللّه وقولوا قوْلًا سدِيدًا ۚ يصْلِحْ لكمْ أعْمالكمْ ويغْفِرْ لكمْ ذنوبكمْ ۗ ومنْ يطِعِ اللّه ورسوله فقدْ فاز فوْزًا عظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70 – 71]

أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ؛ أعاذنا الله وإياكم من النار .

أيها المؤمنون ، الحمد لله الذي يسر لنا زيارتكم واللقاء بكم في هذه الدار المباركة وهذا المركز العلمي والقلعة العلمية الشامخة الشماء لقاء على كتاب الله الكريم وعلى سنة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم نلتقي بهذه الوجوه المتوضئة وفيها مشائخ العلم وطلاب العلم وفيها مشائخ ووجهاء وأهل خير وأفاضل نسأل الله خير هذه الليلة وخير ما بعدها ونعوذ به من شرها وشر ما بعدها

إخوة الايمان إن التزاور في الله من أعظم القربات عند الله ومن أعظم العمال الصالحة .

روى الامام مالك وأحمد الحاكم وابن حبان من حديث معاذ رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول الله عز وجل في الحديث القدسي ((وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتبادلين في)) نسأل الله أن يجعلنا منهم وفيهم إنه أرحم الراحمين .

إخوة الايمان ، روى الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))

هذا الحديث فيه ترغيب وحث على البكاء من خشية الله وعلى الرقة من خشية الله فالرسول يبين أنه من بكى خوفا من الله وخشية من الله هذا لا يدخل النار أبدأ بإذن الله ، لكن إذا كان خوفه وخشيته وبكاءه سببا للعمل بالكتاب والسنة وسببا للأعمال الصالحة والبعد عن المعاصي والذنوب لأن الذي يبكي من خشية الله يمنعه خوفه من فعل المعاصي والمنكرات ويدفعه خوفه وخشيته إلى فعل الطاعات والأعمال الصالحات

وروى الامام الترمذي أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))

فهذه العين التي ترسل دموعها من خشية الله وخوفا من عذاب الله الرحمن ينجيها من النار في ذلك اليوم العظيم لهذا الرسول يبين ويقول عينان ((لا تمسهما النار لا في القبر)) ولا في ساحة الحساب ولا في جهنم نسأل الله النجاة من النار .

وجاء أيضا عند الامام أحمد والنسائي وغيرهما من حديث أبي ريحانة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((عينان حرم الله عليهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))

ففي هذا الحديث دلالة بأن العين الباكية من خشية الله حرم الله عليها النار وأصبحت محرمة على النار بسبب بكاها من خشية الله رب العالمين

وروى الطبراني في الاوسط والصغير وأبي يعلى من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))

وجاء أيضا عند الطبراني من حديث معاوية ابن قرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ((ثلاثة لا تمس أعينهم النار عين باتت تحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله))

ففي هذا الحديث دلالة على أن العين التي تبكي من خشية الله لا تمسها النار برحمة الله رب العالمين والأحاديث كثيرة الدالة على هذا ، ولهذا جاء عند الامام الترمذي وعند البيهقي وابن أبي الدنيا من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه قلت يا رسول الله ما النجاة قال ((أمسك عليك لسانك)) وفي رواية ابن أبي الدنيا ورواية أخرى ((املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك))

في هذا الحديث يأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عقبة بن عامر والأمر للأمة أمر إرشادي أن يبكي كل

مسلم على خطيئته وهذا يعني أن المسلم يبكي إذا وقع في الخطيئة لأنه لا يدري ما مدى عقوبة الخطيئة وما يترتب على هذه الخطيئة التي فعلها . أو ما سمعت ما رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد)) لو نعلم ما عند الله من العقوبات ومن أنواع العقوبات ما طمعنا في جنته .

فهذا الحديث يبين لك خطر الذنوب ويبين خطر المعاصي ولهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يأمرنا أنه متى حدث منا زلل ومتى حصل منا خطأ أن نبادر بالبكاء بين يدي الرحمن لعله أن يرحمنا ولعله أن يغفر لنا .

ولهذا جاء عند الامام الطبراني من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

((طوبى لمن أمسك عليه لسانه ولزم بيته وبكى على خطيئته))

طوبى له : أي عقبى له وهنيئا له الذي يبكي من جراء الذنوب ومن جراء المعاصي ؛ وبكى على خطيئته أي بكى ألما وحزنا على نفسه من فعل هذه الخطيئة وفعل هذه المعصية ولهذا الخوف من الله يكون عند الصالحين أكثر وعند المتقين أكثر وعند الأبرار أكثر فكلما كان الرجل صالحا وكلما كان تقيا زاد خوفه وكثر بكائه وقل ضحكه وقل فرحه وطال حزنه وزاد ألمه لأنه يعلم خطر الذنوب وعظمة الذنوب بل وعظمة من يعصى يعلم عظم من يعصي وهو الله ولهذا ذكر العلماء في قول ربنا في كتابه الكريم في شأن ابراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عندما ذكره الله أنه كان أواهً

قال الإمام الشوكاني والصحيح أن الاواه هو كثير التأوه أي الذي يتكرر منه : أوه أي على نفسه وخوفا من الله وخوفا من عقوبة الله رب العالمين .

ولهذا ، هذا نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أمره ربه أن يقول لأمته

﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾

أمره الله أن يعلن خوفه من الله وأن يعلن خوفه من الله رب العالمين و تكرر هذا في ثلاث سور من القرآن الكريم ، دلالة على خطر الذنوب وعلى شدة خوف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولهذا تكرر عنه قوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ((والذي نفسي بيده)) وفي لفظ - والله - إني والله أخشاكم لله وأتقاكم لله)) أي أنه أشد الناس خشية وأشدهم خوفا من الله رب العالمين على ما كان عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الاعمال الصالحة وعلى أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

بل هذا جبريل عليه السلام يقول عنه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كما في حديث جابر رضي الله عنه قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : ((رأيت جبريل ليلة عرج بي كالحلس البالي من خشية الله)) جبريل كالحلس البالي من خشية الله وهو معصوم من الذنوب من الخطايا والشهوات .

ويقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كما في حديث أنس رضي الله عنه ، قال : ((يا جبريل مالي لا أرى ميكائيل يضحك ، فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)) مع أن النار ليست للملائكة النار توعد الله بها الجن والإنس

قال ربنا في كتابه الكريم ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة** ﴾ وقودها الناس والحجارة ونحن من الناس . من منا يقول أنا قد أعطيت وعدا من الله أن لا يعذبني ، من يستطيع أن يقول هذا ؟ فكلنا داخلون في هذا الاسم وفي هذا الجنس ﴿ **وقودها الناس والحجارة** ﴾ ولهذا يا أمة محمد إننا في زمان قست قلوب أهله وتحجرت فأصبحت متحجرة وجفت أعين أهل هذا الزمان فقل من يبكي من خشية الله وقل من يبكي خوفا من الله .

ولهذا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يبين لنا في أحاديثه الصحيحة يوجهنا إلى كثرة البكاء من خشية الله رب العالمين لأننا نستقبل أنواعا منوعة من العذاب في مراحل الآخرة على حسب المراحل فهناك أنواع عظيمة من العذاب تستقبل أكثر الناس في أوساط القبور وعالم البرزخ وأنواع من العذاب تستقبل الناس في ساحة الحساب وجهنم تستقبل الأعداد الهائلة .

ولهذا أمة محمد : جاء في الصحيحن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت خسفت الشمس على عهد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فقام ـ أي في صلاته ـ قياما طويلا ثم ركع ركوعا طويلا ثم قام قياما طويلا ثم ركع ركوعا طويلا وذكرت الحديث حتى انصرف النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من صلاته ثم أقبل على الناس ووعظهم ثم قال في آخر موعظته ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا))

الرسول يقول ((لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا)) لكن نحن العكس كثرت ذنوبنا وكثرت سيئاتنا وكثرت المعاصي ومع ذلك نضحك ولا نبكي إلا قليلا وهذا يدلك على أننا غافلون وعلى أننا مذنبون على الغفلة وعلى الذنوب .

ولهذا إخوة الايمان إن الذنوب تقسي القلوب ، قال ربنا في كتابه الكريم ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ وقال ربنا في كتابه الكريم ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ قست قلوب بني إسرائيل من الذنوب والمعاصي .

ولهذا سبب قلوبنا هي الذنوب . جاء في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)) وكيف يضحك كثيرا من لا يدري هل ينجو من عذاب القبر أم لا وكيف يضحك كثيرا من لا يدري هل ينجو من عذاب يوم القيامة لا أو لا وكيف يضحك من لا يدري هل ينجو من عذاب جهنم أم لا وكيف يضحك من لا يدري هل الرحمن راض عنه أم ساخط عليه . ولهذا كان السلف دائما تتحدر أعينهم بالدموع فما أكثر بكائهم وما أقل ضحكهم ، علموا ما عند الله وعرفوا ما عند الله فعظم خوفهم من الله .

هذا أبو بكر رضي الله عنه ؛ ذكر ابن ابي الدنيا رحمه الله من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال عندما نزل قول الله ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة:1] . بكى أبو بكر بكاء شديدا فقال له رسول الله ما يبكيك يا أبا بكر . قال أبكتني هذه السورة

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ بكى أبا بكر من خشية الله أبكتني هذه السورة

وجاء في الصحيحين في مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال من حديث عائشة ((مروا ابا بكر فليصلي بالناس)) فقلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق لا يسمع الناس قراءته من بكائه فقال ((مروا أبا بكر فليصلي بالناس)) فلصلي بالناس إلى آخر الحديث . كان أبو بكر كثير البكاء من خشية الله إذا صلى بالناس كثر بكائه وزاد بكاءه حتى ربما غاب صوته لا يسمع الناس قراءته من كثرة بكائه رضي الله عنه وهو الذي بشر بالجنة مرارا وهو من أهل الجنة قطعا رضي الله عنه .

هذا عمر رضي الله عنه كان ربما يمر بالآية يذكر فيها العذاب أو تذكر فيها النار فيبكي وربما مرض فيعوده أصحابه شهرا وليس بمريض وإنما أمرضه خوفه من الله وخوفه من عذاب الله رب العالمين . فما كان أكثر بكاءه رضي الله عنه وأرضاه رغم أنه كان شديدا على أهل الكفر وعلى أهل الباطل لكنه كان رحيما بالأمة وكان رحيما بالمسلمين وكان كثير الخوف من الله رب العالمين . أمر تميم بن أوس الداري يوما أن يقرأ عليه يوما سورة التوبة فقرأها عليه فبكى واشتد بكائه وقال ما كنت أظن أنها نزلت ـ أي كأنها نزلت الآن هكذا عمر رضي الله عنه وأرضاه

هذا عبد الله ابنه رضي الله عنه وأرضاه يقول عنه نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما كان لما يقرأ ﴿ أما آن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ قال فيبكي بكاء شديدا ثم يقول لقد آن يا ربنا ؛ أي لقد آن يا ربنا ويبكي رضي الله عنه وأرضاه

انظروا الى هؤلاء الصحابة كيف كانوا دائما كثيري البكاء وهكذا كان التابعون رضي الله عنهم وأرضاهم بل الصحابة ما كان أكثر بكائهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم

جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بموعظة ما سمعت مثلها قط ثم قال ((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)) قال فغطى أصحاب رسول الله وجوههم وكان لهم خليل موعظة مختصرة كلمات معدودة فرجفت لها قلوب الصحابة ووجلت لها قلوب الصحابة وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم وتحدرت دموعهم انحدرت على الخدود حتى جعلوا ينشقون في المسجد من كثرة البكاء وفي رواية في الصحيحن من حديث أنس قال بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أصحابه شيء قال فقام بموعظة بليغة ما سمعت مثلها ثم قال ((ما رأيت مثل اليوم عرضت علي الجنة والنار تا الله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)) قال فغطى أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجوههم ولهم خليل من البكاء .

الرسول يقسم بالله لو أننا نعلم ما يعلم لطال بكائنا ولقلّ ضحكنا ، تجاهلنا هذه النصوص يا أمة الاسلام تجاهلنا هذه النصوص . الرسول يقسم بربه لو أننا نعلم ما يعلم من العذاب وال.. والوعيد لطال بكائنا ولقلّ ضحكنا لكن نحن بالعكس ما أكثر لضحك وما أقل البكاء .

بل هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يبكي حينما يذكر مواقف القيامة ويذكر مجيء أمته ووقوف أمته في ساحة الحساب وهو يعلم أنه منهم المذنب وأن منهم العاصي .

جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال ، قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ((اقرأ علي القرآن)) قال قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال ((إني أحب أن أسمعه من غيري)) قال فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت قول الله عز وجل ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال فقال لي ((حسبك)) فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان

انظر ، الرسول يبكي علي وعليك من ذنوبنا وأنا وأنت لا نبكي على أنفسنا . الرسول يحزن يحزنه ذنبي وذنبك ونحن لا تحزننا ذنوبنا . أنظر هذا رسول الله أرحم بي وبك من نفسي ومن نفسك ولهذا أنظر كيف كان الرسول يبكي على أمته خوفا عليها خوفا على المذنبين منها

جاء عند الامام مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قرأ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ **فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم** ﴾ وقول عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فبكى واشتد بكاءه فقال الله ((يا جبريل سل محمد ما يبكيك)) وربك أعلم به منه فقال جبريل عليه السلام ((يا محمد ما يبكيك))ـ أتدري ما كانت الاجابة ؟

قال ((أمتي ، أمتي))ـ أي أنا أبكي على أمتي من عذاب الله .

الرسول يبكي علي وعليك ونحن لا نبكي على أنفسنا ، كان يعلم ما عند الله ولهذا كان يبكي على أمته ، لأنه يعلم أنواع العذاب عند الله يبكي على العاصي يبكي على الغافل يبكي على الغافل وأنت أيها المسلم ألست أحق أن تبكي على نفسك خوفا من دخول النار وخوفا من عذاب النار .

الرسول يقول لجبريل أمتي ، أي يا جبريل أنا أبكي على أمتي أنا أبكي على العصاة من أمتي أبكي على أفراد الأمة أبكي على رجالها ونساءها أبكي عليهم مما عند الله من أنواع العذاب ، أبكي على أمتي فقال الله ((يا جبريل قل لمحمد إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك))

إخوة الايمان هذا رسول الأمة يبكي على أفراد الأمة لأنه قد علم أن من الأمة من يرتكب المعاصي ومن يغفل فهو يبكي على آكل الربا ويبكي على الزاني ويبكي على الكذاب ويبكي على المرتشي ويبكي على الظالم ويبكي على النمام ويبكي على صاحب الغيبة ويبكي على أصحاب الفساد ويبكي على أصحاب الغفلة . رسول الله يبكي ولم يقل نفسي نفسي وإنما قال أمتي أمتي ولهذا يرشد أمته إلى الدواء ويرشد أمته إلى العلاج ويرشد أمته إلى الخلاص من أنواع العذاب فيقول لهم ((والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا))

لو أنكم تعلمون ما يعلم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لما وقفت دموعنا ولما تجمدت دموعنا ولكن سيطرت على قلوبنا الغفلة سيطرت على قلوبنا الغفلة حتى أصبحت قلوبنا قاسية ما أغشاها عياذا بالله رب العالمين .

ولهذا جاء عند ابن حبان أن عائشة رضي الله عنها سئلت قيل لها ما أعجب ما رأيت من رسول الله

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فقالت بينما هو ذات ليلة عندي إذ قال لي ((يا عائشة دعيني أتعبد لربي)) قالت فقلت يا رسول الله والله إني أحب قربك وأحب ما يسرك وقالت فقام ليصلي فبكى حتى بل لحيته ثم بكى حتى بل ثيابه ثم بكى حتى بل الأرض .

سبحان الله الرسول الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك يبكي من خشية الله حتى بل لحيته ويبكي حتى بل ثيابه ويبل الأرض ومع ذلك ظل يبكي حتى جاءه بلال رضي الله عنه يؤاذنه لصلاة الصبح فوجده يبكي طول ليله وهو يبكي فقال يا رسول تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ((أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا ؛ لقد أنزلت علي هذه الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتدبرها)) وقرأ قول الله :

﴿ إن في خلق السماوات والأرض ﴾

أنظر يا أخي هذا رسول الله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بل .

بل يقول البراء بن عازب رضي الله عنه كنا مع الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ إذ رأى مجموعة من أصحابه فقال ((ما يفعل هؤلاء)) فقالوا يا رسول الله إنهم يدفنون ميتا أي عند جنازة فانطلق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ مسرعا فقال البراء فانطلقت قبله حتى أنظر ما يفعل أنظر ماذا يفعل فعندما وصل عند القبر جثا على ركبتيه ثم نظر إلى اللحد فبكى حتى بل الثرى ثم التفت إلى أصحابه فقال ((لمثل هذا فأعدوا يا إخواني)) ؛ أي لمثل هذا المنزل أعدوا العدة يا اخواني لمثل هذا يا اخواني فأعدوا ، أي أعدوا الزاد لدخول هذه الحفرة ولدخول القبر .

ولهذا جاء عند الترمذي وغيره أن عثمان رضي الله عنه كان إذا رأى القبر بكى واشتد بكاءه فقيل له يا أمير المؤمنين تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتذكر هذا وتبكي فقال سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ يقول ((القبر أول منازل الاخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر ومن لم ينجو منه فما بعده أشد)) ثم قال وسمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ يقول ((ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه))

نحن مستقبلون مراحل تشيب منها الرؤوس ، نحن مقبلون على مراحل لا ندري ما حالنا بها يا أمة محمد ألا ترون أن الناس يدفنون الميت ويرشون عليه التراب ثم يتولون عنه ولا يدرون ما يحدث له ؛ لا يستطيع أن يتصل بأب ولا بأم ولا بأخ ولا بعم ولا بولد ولا بزوج ما ندري ما حدث نسلمه لقضاء الله ولحكم الله ، ثم لا ندري ما يحدث له وربما كان في عذاب ونحن لا ندري ربما كان في شدة ونحن لا ندري فنحن لا ندري ما حالنا .

الحسن البصري رحمه الله كان كثير البكاء ، فعندما قيل له في ذلك قال وما يدريني لعل الله قد اطلع على ذنب من ذنوبي فقال لي اعمل فاني لا غفرت لك فانا أعمل في غير مأتمل . وأنا وأنت ما يدرينا أن الله قد اطلع على بعض ذنوبنا فقال لا غفرت لكم فنحن نعمل ولا قبول لأعمالنا

يا أمة الاسلام نحن لا ندري ما حالنا مع الله لا ندري ما حالنا مع الله ، فنبي الأمة كان دائما مع البكاء وكان كثير البكاء .

جاء عند الامام الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال ((كنت أسمع لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهو يصلي أسمع لصدره أزيزا كأزيز الرحا)) وفي رواية أزيزا كأزيز المرجل - أي كان صدر رسول الله ، كان يبكي وكان يبيت الليالي من كثرة البكاء وهو رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هكذا كان الرسول إذا صلى يسمع الصحابة لصدره أزيزا كأزيز الرحى وأزيزا كأزيز المرجل والمرجل هو القدر الذي يوضع في النار الحارة يغلي من شدة النار وهكذا كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يبكي .

إخوة الايمان ،

أنا أخشى أن قسوة قلوبنا لأن الله ما رضي عنا يا أمة محمد .

إخوة الايمان ،

لا شك ولا ريب أن قسوة القلوب بسبب الذنوب وأنها بسبب كثرة الذنوب ولهذا نحن نقرأ و نسمع عن سلفنا الصالح الذين كانوا كثيري العبادة وكثيري الصلاة وكثيري الصيام أنهم كانوا دائما مع البكاء كثيرا ما يبكون من خشية الله كثيرا ما يبكون من خشية الله ولا تقسى القلوب ولا تجف الدموع إلا من أهل الذنوب ومن أهل المعاصي هكذا فنحن نخشى أننا معدودين من أهل المعاصي عند الله نخشى أننا معدودين من أهل المعاصي . ولهذا كم نسمع القرآن يتلى ولم نكن كالسلف الصالح من الخوف من الله والخشية من الله كانت قلوب سلفنا لينة رقيقة عند سماع القرآن وعند سماع المواعظ كانت رقيقة .

ولهذا جاء عند أي داوود والترمذي وابن ماجة وأحمد والبغوي في السنة وابن أبي عاصم في السنة وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا وذكر الحديث .

انظر إلى الصحابة ما إن يسمعوا للموعظة إلا وبكوا من خشية الله إلا وتحدرت دموعهم على خدودهم وعلى لحاهم وثيابهم وحتى ربما بلوا الأرض . هكذا كانت أحوال سلفنا الصالح يعيشون مع البكاء يعيشون مع البكاء

إخوة الايمان ولو أننا نظرنا في كتب السير في سير سلفنا لرأينا العجب العجاب من كثرة البكاء من خشية الله .

هذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله كما ذكر ابن أبي الدنيا ، كان يوما جالسا بين أصحابه وهم يتحدثون وهو ساكت فقالوا له يا أمير المؤمنين مالك لا تتحدث معنا فقال لهم ((إني ذكرت أهل الجنة وأهل النار ذكرت أهل الجنة وهم يتزاورون وذكرت أهل النار وهم يتصارخون)) ثم بكى رضي الله عنه ورحمه بكاء شديدا. هذا يدلك على أن قلوبهم كانت مع الآخرة كان مع أصحابه وهو مع ذلك عقله وقلبه ولبه في مراحل الآخرة ليس مع الدنيا قال ذكرت أهل الجنة والنار ذكرت أهل الجنة وهم يتزاورون وذكرت أهل النار وهم يتصارخون أي يبكون - من عذاب الله رب العالمين

وهكذا تقول فاطمة بنت عبد الملك زوج أمير المؤمنين عمر رحمه الله تعالى قالت للمغيرة بن عبد الحكيم : يا مغيرة إنه قد يوجد في الناس من هو أكثر صلاة وصياما وعبادة من أمير المؤمنين عمر ، أني سمعت أن في الناس من هو أشد فرقا في الناس منه فلم أسمع قالت كان إذا صلى العشاء أقبل على مصلاه وفي مسجده وجعل يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم ينتبه ثم يدعو ويبكي حتى تغلبه عيناه قالت فهو كذلك حتى يأتيه الفجر وهو على هذا طول ليله وهو يبكي ثم ينعس نعاسا خفيفا .

أنظروا خافوا البيات فانتبهوا وفروا من العدو القاهر - النار - فروا منها وباتوا مع البكاء وباتوا مع الدعاء وباتوا مع الصلاة . ولهذا بكى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يوما ثم بكت زوجته ثم بكى رحمه الله أولاده ثم بكى من في البيت والكل لا يدري لماذا بكى كل واحد لا يدري لماذا بكى رحمه الله ، فلما تجلت العبرات وسكتت الأصوات قالت فاطمة لأمير المؤمنين عمر يا أمير المؤمنين بأبي ما الذي أبكاك قال ((ذكرت منصرف الناس يوم القيامة بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير فما أدري في أي الفريقين أنا)) ، رحمه الله ثم بكى حتى أغمي عليه .

ذكرت منفرق الناس فريق في الجنة وفريق في السعير فلا أدري في أي الفريقين أنا

أنظر. أنظر

بل هذا الصحابي صحابي جليل كما في مسند الإمام أحمد دخل عليه أبو نضرة وهو مريض فوجده يبكي فقال له ما يبكيك وقد قال لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خذ من شاربك وأقر قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول ((إن الله عز وجل قبض قبضة وقال هذه إلى الجنة ولا أبالي ثم قبض قبضة وقال هذه إلى النار ولا أبالي)) قال ولا أدري في أي القبضتين أنا .

فانظر يا أخي أنا وأنت لا ندري أين نحن وأين قرارنا وأين منزلنا

أبو هريرة حافظ الصحابة رضي الله عنه ذكر الامام البغوي في شرح السنة قال : عندما حضر أيا هريرة الموت جعل يبكي فقيل له يا أبا هريرة لم تبكي أو كيف حالك فقال ((أصبحت في صعود أما أني لا أبكي على دنياكم ولكني أصبحت في صعود ولا أدري إلى أين أنا إلى الجنة أم إلى النار)) وفي لفظ في غير شرح السنة قال ((أصبحت في صعود وفي مهبط إما إلى الجنة وإما إلى النار فلا أدري إلى أيهما أنا))

أبو هريرة الذي صحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والذي أثرى لنا هذه الثروة العلمية ما من مسلم إلا ولأبي هريرة منة عليه لما روى من الأحاديث في أمور العبادة ومع ذلك يقول أصبحت في صعود ولا أدري أين مهبطي إما إلى الجنة وإما إلى النار .

فيا أمة الاسلام مواقف السلف كثيرة حيث كانوا كثيري البكاء أما نحن فقد تحجرت قلوبنا واسمعوا هذا الحديث جاء عند الترمذي وعند ابن ماجة والبيهقي وغيرهم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ((إني أرى مالا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد لله تعالى)) ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ((والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذتم مع النساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله)) ، تجأرون إلى الله

الرسول يقسم بالله لو أننا نعلم حقيقة الأمر ونعلم ما يعلمه من عذاب الله لطال بكائنا ولقل ضحكنا ولما قامت وتحركت شهواتنا مع نسائنا لماتت شهواتنا ولخرجنا إلى الطرق نجأر إلى الله أي نستغيث بالله ونسأله أن يرحمنا في الطرقات لو علمنا ما يعلمه الرسول لبقيت الأسواق ولبقيت الشوارع مليئة بالبكائين ولميئة بالمتضرعين ومليئة بالمستغيثين لكن جهلنا غطى علينا هذا وحجب عنا هذا وذنوبنا حجرت قلوبنا فأصبحت متحجرة

أمة محمد : كل واحد يتصل بربه بينه وبين ربه لعله أن يرحمه

يقول حمزة الأعمى كما عند ابن أبي الدنيا رحمه الله جاءت بي أمي إلى الحسن البصري فقالت يا أبا سعيد جئت بابني هذا لعله أن ينتفع بك قال فكنت إذا دخلت عليه وحدي أجده يبكي وإذا دخلت مع أناس أجده يبكي وكان إذا صلى يبكي وإذا حدث يبكي فقال قلت له يا أبا سعيد إنك تكثر البكاء قال ((فما يصنع المؤمن)) - ايش على المؤمن ماذا يفعل - ؛ يبكي على نفسه يا أمة محمد يبكي على نفسه ولهذا قال له ((يا بني ابكي يا بني لعل الله أن يراك على حالة فيرحمك)) تبكي في هذا يرحمك.

بل هذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لأصحابه وهم في الحجر وهم جالسون معه في الحجر فيقول والله يقول رضي الله عنه ((لو أنكم تعرفون أو تعلمون لقام أحدكم حتى ينكسر ظهره ولصام أو قال أو لبكى

أحدكم حتى يجف دمعه)) أو بهذا المعنى

أي لو أن عندنا من العلم ما ينور قلوبنا على الحقيقة لبكينا ولكثر بكائنا

أسأل الله بعزته وجلاله أن يرحمنا وأن يلين قلوبنا ، اللهم إنا نشكو إليك قسوة قلوبنا

اللهم إنا نشكو إليك قسوة قلوبنا اللهم ارفع عن قلوبنا القسوة اللهم ارفع عن قلوبنا القسوة والغفلة

اللهم نور قلوبنا وبصرها يا أرحم الراحمين وارزقنا الطاعة ما تستنير قلوبنا وارزقنا من اليقين يا أرحم الراحمين

ما يقينا عذابك يوم لقائك اللهم إنا نسألك أن ترحمنا

اللهم إنا نسألك أن ترحم قلوبا خشعت وعيونا دمعت ورؤوسا خضعت وأجساما ذلت لك يا أرحم الراحمين اللهم

ارحم أجساما وجلت وقلوبا وجلت وخشعت لك أنت رحمان الدنيا والآخرة . سبحانك اللهم وبحمدك لا إله

إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . اهـ

- - - - - - - -

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وتم التفريغ بحمد الله ليلة السبت التاسع من رمضان 1433 هجري

أخوكم : أبو عبد الله عبد الحافظ الجزائري .